شرح
فصوص الحكم

من كلام الشيخ الأكبر

محي الدين ابن العربي

تحقيق

جمع وتأليف

محمود محمود الغراب

١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م

الناشر : المؤلف

مطبعة زيد بن ثابت
(٢٠٠٠)

الإلهي بارتفاع الوسائط ، ومنهم من فضله بالخلة ، ومنهم من فضله بالصفوة وهو إسرائيل « يعقوب » فهذه كلها صفات شرف ومجد ، ولا يقال إن خلته أشرف من كلامه ، ولا إن كلامه أفضل من خلقه بيديه ، بل كل ذلك راجع إلى ذات واحدة ، لا تقبل الكثرة ولا المفاضلة ، ومذهب الجماعة أن كل واحد من الأنبياء فاضل مفضول ، فخص آدم بعلم الأسماء الإلهية ، وخص موسى بالكلام ، وخص رسول الله ﷺ بما ذكره عن نفسه ، وخص عيسى بكونه روحا ، ومع علمنا بأن الله فضل بعضهم على بعض ، فله سبحانه أن يفضل بين عباده بما شاء ، وليس لنا ذلك ، فإنا لا نعلم ذلك إلا بإعلامه ، فإن ذلك راجع إلى ما في نفس الحق سبحانه منهم ، ولا يعلم أحد ما نفس الحق ، ولا دخول هنا للمراتب الظاهرة والتحكم ، وقد نهى رسول الله ﷺ أن نفضل بين الأنبياء ، وأن نفضله ﷺ عليهم إلا بإعلامه أيضاً ؛ وعيّن يونس عليه السلام وغيره . فمن فضل من غير إعلام الله فقد خان رسول الله ﷺ ، وتعدى ما حده له رسول الله ﷺ .

أما الرسالة ونبوة الشرائع العامة أعني المتعدية إلى الأمم ، والخاصة بكل نبي فاختصاص إلهي في الأنبياء والرسل ، لا ينال بالاكتساب ولا بالتعمل ، فخطاب الحق قد ينال بالتعمل ، والذي يخاطب به إن كان شرعا يبلغه أو يخصه . ذلك هو الذي نقول فيه لا ينال بالتعمل ولا بالكسب ، وهو الاختصاص الإلهي المعلوم ، وكل شرع ينال به عامله هذه المرتبة فإن نبي ذلك الشرع من أهل هذا المقام ، وهو زيادة على شريعة نبوته له ، فضلا من الله ونعمة ، وهو لمحمد ﷺ بالقطع ، وكل شرع لا ينال العامل به هذا المقام ، فإن نبي ذلك الشرع لم يحصل له هذا المقام الذي حصل لغيره من أنبياء الشرائع ؛ قال تعالى « ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض » وقال جل جلاله « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » في وجوه منها هذا .

ف ح ١/٥٢٢ — ح ٢/١٩ ، ٥٢ ، ٦١ — ح ٣/٤٤٢ — ح ٤/١٣٩

= [واعلم أن الولاية هى الفلك المحيط العام ، ولهذا لم تنقطع ؛ ولها الإنباء العام] = (١٢) وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة . وفي محمد ﷺ قد انقطعت ؛ فلا نبي بعده : يعني مشرّعاً أو مشرّعاً له ، ولا رسول وهو المشرع = [وهذا الحديث

---

١٢ ــ مرتبة الولاية والنبوة والرسالة

يقول الشيخ في كتابه « التنزلات الموصلية » :

سمـاء النبـوة في برزخ　　　دوين الولي وفوق الرسول

ويقول في الفتوحات المكية ح ٢ ص ٢٣ : الولاية أعم فلك إحاطي .

وهو قوله في التنزلات الموصلية في الباب الثالث :

سمـاء الولاية علوية　　　نحيط بكـل مقـام جليل

ويقول في الفتوحات المكية ح ١ ص ٢٢٩ :

بين النبـوة والولايـة فـارق　　　لكن لها الشرف الأتـم الأعظم
يعنو لهـا الفلك المحيط بسـره　　　وكـذلك العـلم العلي الأفخم
إن النبـوة والرسـالة كانتـا　　　وقد انتهت ولها السبيل الأقوم
وأقام بيتـا للولايـة محكمـا　　　في ذاتـه فلـه البقـاء الأدوم
لا تطلبنـه نهايـة يسعى لهـا　　　فيكون عنـد بلوغـه يتهـدم
صفـة الدوام كذاتـه نفسيـة　　　فهـو الولي فقهـره متحكـم
يأوي إليـه نبيـه ورسـوله　　　والعـالم الأعلى ومن هو أقدم

ولهذا يقول في ح ٢ ص ٢٤٦ :

الولاية نعت إلهي وهو للعبد خلق لا تخلق وتعلقه من الطرفين عام لكن لا يشعر بتعلقه عموما من الجناب الإلهي ، وعموم تعلقه من الكون أظهر عند الجميع ، فإن الولاية نصر الولي أي نصر الناصر ، فهو ذو النصر العام في كل منصور ، ولما كان نعتا إلهيا ــ هذا النصر المعبر عنه بالولاية تسمى سبحانه به وهو اسمه الولي ــ وهذا معنى قوله في البيت الأخير ــ ومن هو أقدم ثم يزداد رضي الله عنه شرحا لمقام الولاية فيقول في الفتوحات المكية ح ٢ ص ٢٥٦ :

فتصمّ ظهور أولياء الله لأنه يتضمن انقطاع ذوق العبودية الكاملة التامة . فلا ينطلق عليه اسمها الخاص بها فإن العبد يريد ألا يشارك سيده — وهو الله — في اسم ؛ والله لم يتسم بنبي ولا رسول وتسمى بالولي واتصف بهذا الاسم فقال « الله ولي الذين

اعلم أن الولاية هي المحيطة العامة وهي الدائرة الكبرى ، فمن حكمها أن يتولى الله من شاء من عباده بنبوة من أحكام الولاية ، وقد يتولاه بالرسالة ، وهي من أحكام الولاية أيضا ، فكل رسول لابد أن يكون نبيا وكل نبي لابد أن يكون وليا ، فكل رسول لابد أن يكون وليا ، فالرسالة خصوص مقام في الولاية ، والرسالة في الملائكة ، دنيا وآخرة لأنهم سفراء الحق لبعضهم وصنفهم ولمن سواهم من البشر في الدنيا والآخرة ، والرسالة في البشر لا تكون إلا في الدنيا وينقطع حكمها في الآخرة ، وكذلك تنقطع في الآخرة بعد دخول الجنة والنار نبوة التشريع لا النبوة العامة ، وأصل الرسالة في الأسماء الإلهية ، وحقيقة الرسالة إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع ؛ فهي حال لا مقام ، ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ .

ويقول في ح ٢ ص ٢٤ :

فمن الأولياء رضي الله عنهم الأنبياء صلوات الله عليهم ، تولاهم الله بالنبوة ؛ فالولاية نبوة عامة ، والنبوة التي بها التشريع نبوة خاصة ، ومن الأولياء رضوان الله عليهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم تولاهم الله بالرسالة ، فهم النبيون المرسلون إلى طائفة من الناس أو يكون إرسالا عاما إلى الناس ، ولم يحصل ذلك إلا لمحمد ﷺ ، ويقول في ص ٢٦ : ومن الأولياء أيضا رضي الله عنهم المؤمنون والمؤمنات تولاهم الله بالإيمان الذي هو القول والعمل والاعتقاد .

ولذلك نراه يقول في كتاب القربة :

الرسل من كونهم أولياء عارفين أرفع من كونهم رسلا ، فإن الولاية والمعرفة تحصرهم في بساط المشاهدة في الحضرة المقدسة ، والرسالة تنزلهم إلى العالم الأضيق ومشاهدة الأضداد ومكابدة الأسماء الإلهية القائمة بالفراعنة والجبابرة ، فلا شيء أشد عليهم من مقارعة الأسماء بالأسماء ، ولهذا كان يقول ﷺ بعد استعاذاته من

آمنوا » : وقال « وهو الولي الحميد » . وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة. فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة : إلا أن الله لطف

الأفعال والأحوال « أعوذ بك منك » لشدة سلطان هذا المقام ، فإذا سمعتم لفظة من عارف محقق مبهمة ، وهو أن يقول إن الولاية هي النبوة الكبرى والولي العارف مرتبته فوق مرتبة الرسول ، فاعلموا أن الاعتبار بالشخص من حيث ما هو إنسان فلا فضل ولا شرف في الجنس بالحكم الذاتي ، وإنما يقع التفاضل بالمراتب ، فالأنبياء صلوات الله عليهم ما فضلوا الخلق إلا بالمراتب ، فالنبي له مرتبة الولاية والمعرفة والرسالة ، ومرتبة الولاية والمعرفة دائمة الوجود ومرتبة الرسالة منقطعة فإنها تنقطع بالتبليغ ، والفضل للدائم الباقي ، والولي العارف مقيم عنــده (أي عند الحق) والرسول خارج ، وحالة الإقامة أعلى من حالة الخروج فهو ﷺ من كونه وليا عارفا أعلى وأشرف من كونه رسولا وهو الشخص بعينه واختلفت مراتبه ، لا أن الولي منا أرفع من الرسول نعوذ بالله من الخذلان ، فعلى هذا الحد يقولها أصحاب الكشف والوجود إذ لا اعتبار عندنا إلا للمقامات ولا نتكلم إلا فيها لا في الأشخاص .

ويقول في كتابه تلقيح الأذهان :

ففلك الولاية أعلا وأعم من فلك النبوة ، ولا تحجب فتقول الولي أفضل من النبي ، لا ، ولكن النبوة درجة في الولاية ، فالولي الذي ليس بنبي ناقص عن رتبة النبوة ، وإنما النبي من حيث ولايته أتم منه من حيث نبوته ، كالإنسان من حيث إنسانيته أتم منه من حيث حيوانيته ،

كما أن النبوة في حق ذات النبي أعم وأشرف من الرسالة ، فإنه يدخل فيها ما اختص به في نفسه وما أمر بتبليغه لأمته الذي هو منه رسول (ف ح ٤٢٩/١) .

فالكلام في المراتب وتفاضلها من حيث المقام والرتبة والأصل والفرع وعلو الأصل على الفرع والأساس على البناء والمقام على الحال والمستند إليه على المستند ومقام النصرة على التبليغ ، فمن نظر إلى المراتب وسعتها وأن مرتبة الولاية وسعت الأنبياء والرسل ، وأن مرتبة النبوة وسعت الرسل واقتصرت مرتبة الرسالة على الرسل فقط ، ونظر إلى أن الولاية هي الأساس وأنها هي الفلك المحيط الأوسع ،

بعباده . فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها ، وأبقى لهم التشريع في الاجتهاد في ثبوت الأحكام ، وأبقى لهم الوراثة في التشريع فقال « العلماء ورثة الأنبياء » . وما

قال إن مرتبة الولاية أعلى وأشرف من مرتبة النبوة والرسالة ، ومن نظر إلى أن مرتبة الولاية لها البقاء في الدنيا والآخرة ، وأن مرتبة النبوة والرسالة منقطعة بالدنيا والحشر ، قال بعلو مقام الرتبة التي لها البقاء والدوام على الرتبة المنقطعة ، ومن نظر إلى الاستناد إلى الأسماء الإلهية وأن مرتبة الولاية مستندة إلى الاسم الإلهي الولي وأن النبوة والرسالة من أسماء العبودية قال بشرف المرتبة بشرف المستند إليه ، ومن نظر إلى المعنى قال إن الولاية نصرة ، ومقام النصرة له الشرف على مقام الإخبار ومقام التبليغ .

كان محمد ﷺ أعظم خليفة وأكبر إمام ، وكانت أمته خير أمة أخرجت للناس وجعل الله ورثته في منازل الأنبياء والرسل . فأباح لهم الاجتهاد في الأحكام ، فهو تشريع عن خبر الشارع ، فكل مجتهد مصيب كما أنه كل نبي معصوم ، وتعبدهم الله بذلك ليحصل لهذه الأمة نصيب من التشريع وتثبت لهم فيه قدم ، فلم يتقدم عليهم سوى نبيهم ﷺ ، فتحشر علماء هذه الأمة حفاظ الشريعة المحمدية في صفوف الأنبياء لا في صفوف الأمم ، فهم شهداء على الناس ، وهذا نص في عدالتهم ، ولولا أن الشارع قرر حكم المجتهد من علماء هذه الأمة ما ثبت له حكم ، فالمجتهدون من علماء الشريعة ورثة الرسل في التشريع ، وأدلتهم تقوم لهم مقام الوحي للأنبياء ، واختلاف الأحكام كاختلاف الأحكام ، إلا أنهم ليسوا مثل الرسل ، فاختص الله هذه الأمة أعني علماءها بأن شرع لهم الاجتهاد في الأحكام ، وقرر حكم ما أداه إليه اجتهادهم وتعبدهم به ، وتعبد من قلدهم بـه ، كما كان حكم الشرائع للأنبياء ومقلديهم ، ولم يكن مثل هذا لأمة نبي ما لم يكن نبيا بوحي منزل ، فجعل الله وحي علماء هذه الأمة في اجتهادهم ، كما قال لنبيه عليه السلام « لتحكم بين الناس بما أراك الله » فالمجتهد ما حكم إلا بما أراه الله في اجتهاده .

راجع ف ١/٥٤٥ — ح ٢/٢٦١ — ح ٣/٤٠٠ - ٤٠١

كتابنا « الفقه عند الشيخ الأكبر » ص ٦٥

١٢ ـ حديث «لا نبي بعدي ولا رسول»

« وقوله تعالى للعزير : لئن لم تنته .. » ـ الحديث .

يقول الشيخ في ف ح ٢٢٩/١ ـ اعلم أنه ثبت أن رسول الله ﷺ قال : إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي ـ الحديث بكماله ـ فهذا الحديث من أشد ما جرعت الأولياء مرارته ، فإنه قاطع للوصلة بين الإنسان وبين عبوديته ، وإذا انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين عبوديته من أكمل الوجوه انقطعت الوصلة بين الإنسان وبين الله ، فإن العبد على قدر ما يخرج من عبوديته ، ينقصه من تقريبه من سيده ، لأنه يزاحمه في أسمائه ، وأقل المزاحمة الاسمية ؛ فأبقى علينا الاسم الولي وهو من أسمائه سبحانه ، وكان هذا الاسم قد نزعه من رسوله وخلع عليه وسماه بالعبد والرسول ، ولا يليق بالله أن يسمّى بالرسول . فهذا الاسم من خصائص العبودية التي لا تصح أن تكون للرب ، والرسالة قد انقطعت فارتفع حكم هذا الاسم بارتفاعها من حيث نسبتها بها من الله ، ويقول في ح ٢ ص ٢٥٢ ـ اعلم أن الحق لم يطلق على نفسه من النبوة أو الرسالة اسما كما أطلق في الولاية فسمى نفسه وليا وما سمى نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا .

ويقول في ح ٢ ص ٢٥٣ ـ فالنبي اسم خاص بالأنبياء والرسل ما هو لله ولا للأولياء بل هو اسم خاص للعبودية التي هي عين القرب من السيد وعدم مزاحمة السيد في رتبتـه ، بخلاف الولاية ، فإن العبـد مزاحم له في اسم الولي تعالى ؛ ولهذا شق على المستخلصين من العبيد انقطاع اسم النبي واسم الرسول لما كان من خصائصها ولم يكن له في الأسماء الإلهية عين ، ولذلك يقول رضي الله عنـه في ح ١ ص ٢٢٩ ـ ولما علم رسول الله ﷺ أن في أمته من يجرع مثل هذا الكأس ؛ وعلم ما يطرأ عليهم في نفوسهم من الألم ؛ لذلك رحمهم . فجعل لهم نصيبا ، فقال للصحابة « ليبلغ الشاهد الغائب » فأمرهم بالتبليغ كما أمره الله بالتبليغ لينطلق عليهم أسماء الرسل التي هي مخصوصة بالعبيد . وقال ﷺ « رحم الله امرأ سمع مقالتي

يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولي وعارف (١٤) ولهذا مقامه من حيث هو عالم أتم وأكمل من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع = | فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول أو ينقل إليك عنه انه قال الولاية أعلى من النبوة ، فليس يريد ذلك

فوعاها فأداها كما سمعها » يعني حرفا حرفا ، ومن هنا تعرف شرف مقام العبودية وشرف المحدثين نقلة الوحي بالرواية ، فهذا القدر بقي من العبودية ، وهو خير عظيم امتن به عليهم ، ومهما لم ينقله الشخص بسنده متصلا غير منقطع فليس له هذا المقام ولا شم له رائحة . وكان من الأولياء المزاحمين الحق في الاسم الولي فنقصه من عبوديته بقدر هذا الاسم .

١٤ – علم الأسرار (●)

هو العلم الذي فوق طور العقل ، وهو علم نفث روح القدس في الروع ، يختص به النبي والولي ، والعالم بعلم الأسرار يعلم العلوم كلها ويستغرقها كلها ، ولا علم أشرف من هذا العلم المحيط الحاوي على جميع المعلومات ، وما بقي إلا أن يكون المخبر به صادقا عند السامعين له معصوما . هذا شرطه عند العامة ، وأما العاقل اللبيب الناصح نفسه فلا يرمي به ولكن يقول هذا جائز عندي أن يكون صدقاً أو كذباً ، وكذلك ينبغي لكل عاقل إذا أتاه بهذه العلوم غير المعصوم وإن كان صادقاً في نفس الأمر فيما أخبر به ، ولكن كما لا يلزم هذا السامع صدقه لا يلزمه تكذيبه ولكن يتوقف ، وإن صدقه لم يضره لأنه أتى في خبره بما لا تحيله العقول بل تجوزه أو تقف عنده ، ولا يهد ركناً من أركان الشريعة ولا يبطل أصلاً من أصولها ، فإذا أتى بأمر جوزه العقل وسكت عنه الشارع ، فلا ينبغي لنا أن نرده أصلاً ، ونحن مخيرون في قبوله ، فعلوم النبوة والولاية وراء طور العقل ، ليس للعقل فيها دخول بفكر ، لكن له القبول خاصة عند السليم العقل الذي لم يغلب عليه شبهة خيالية فكرية ، يكون من ذلك فساد نظره ، فإن العقل بين النظر والقبول .

قال رسول الله ﷺ « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله ، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله » قال طبقة في هذا العلم إنه وراء طور العقل ؛

القائل إلا ما ذكرناه . أو يقول إن الولي فوق النبي والرسول ، وإنه نعني بذلك في شخص واحد: وهو أن الرسول عليه السلام — من حيث انه ولي — اتم منه من حيث هو

ومنه ما يستحيل عندالفكر ويقبلها العقل من الفكر مستحيلة الوجود ، لا يمكن أن يكون له تحت دليل الإمكان ، فيعلمها العقل من جانب الحق واقعة صحيحة غير مستحيلة ، ولا يزول عنها اسم الاستحالة ولا حكم الاستحالة عقلا ، ومن هذا العلم ما يكون تحت النطق ، فما ظنك بما عند هؤلاء العلماء من العلم مما هو خارج عن الدخول تحت حكم النطق ؛ فما كل علم يدخل تحت العبارات ، مثل علوم الأذواق كلها ، وجعل الله هذا العلم كهيئة المكنون ما جعله مكنوناً ، إذ لو كان مكنوناً لانفرد به تعالى ، فلما لم يعلمه إلا العلماء بالله ، علم أن العلم بالله يورث العالم بما يعلمه الله . فهو مستور عن العموم معلوم للخصوص ، ومعنى العلم بالله انه لا يعلم ، فقد علمنا أن ثم ما لا يعلم على التعيين ، وما عداه فيمكن العلم به ، فأكنه قلوب العلماء بالله ، فإذا نطقوا به فيما بينهم إذ لا يصح النطق به إلا على هذا الحد ، واتفق أن يكون في المجلس من ليس من أهله ولا من أهل الله، فإن أهل الله هم أهل الذكر وهم العلماء بالله ، أنكره عليهم أهل الغرة فأضاف أهليتهم إلى الغرة ، وهم الذين يزعمون أنهم عرفوا الله ، قال أبو هريرة « حملت عن النبي ﷺ جرابين ، أما الواحد فبثثته فيكم ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم » يشير أبو هريرة إلى ما كان يقول فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين يضرب بيده إلى صدره ويتنهد ويقول « إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة » وإلى ما كان يقوله عبد الله بن عباس البحر ، كان يلقب به لاتساع علمه ، فكان يقول في قوله عز وجل « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن » : لو ذكرت تفسيره لرجمتموني ، وفي رواية ، لقلتم إني كافر ، وإلى هذا العلم كان يشير علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، زين العابدين ، عليهم الصلاة والسلام بقوله ؛ فلا أدري هل هما من قوله أو تمثل بهما

يا رب جوهر علم لو أبوح بـه   لقيل لي أنت ممن يعبـد الوثنا

ولاستحل رجـال مسلمون دمي   يرون أقبح ما يأتونـه حسنـا .

ف ح ١/٢٠٠، ٢٦١، ٤٨٣ — ح ٢/١١٤ — ح ٣/٢٤٤ .

نبى ورسول؛ لا أن الولى التابع له اعلى منه ، فإن التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه ؛ إذ لو أدركه لم يكن تابعاً له فافهم]=(١٥) فمرجع الرسول والنبى المشرع إلى الولاية والعلم . الا ترى الله تعالى قد أمره بطلب الزيادة من العلم لا من غيره فقال له آمراً « وقل رَبِّ زِدْني علماً » . وذلك انك تعلم ان الشرع تكليف بأعمال مخصوصة او نهي عن أفعال مخصوصه ومحلها هذه الدار فهى منقطعة ، والولاية ليست كذلك إذ لو انقطعت لانقطعت من حيث هى كما انقطعت الرسالة من حيث هي . وإذا انقطعت من حيث هى لم يبق لها اسم . والولي اسم باق لله تعالى ؛ فهو لعبيده تخلقاً وتحققا وتعلقاً = [فقوله للعزير لئن لم تنته عن السؤال عن ماهية القَدَر لأمحون اسمك من ديوان النبوة فيأتيك الأمر على الكشف بالتجلي ويزول عنك اسم النبي والرسول ، وتبقى له ولايته] = (١٦) إلا أنه لما دلت قرينة الحال أن هذا الخطاب جرى مجرى الوعيد علم من اقترنت عنده هذه الحالة مع الخطاب أنه وعيد بانقطاع خصوص بعض مراتب الولاية في هذه الدار ، إذ النبوة والرسالة خصوص رتبة في الولاية على بعض ما تحوي عليه الولاية من المراتب . فيعلم أنه أعلى من الولي الذى لا نبوة تشريع عنده ولا رسالة . ومن اقترنت عنده حالة أخرى تقتضيها أيضا مرتبة النبوة ، يثبت عنده ان هذا وعد لا وعيد . فإن سؤاله عليه السلام مقبول إذ النبي هو الولى الخاص . ويَعرِف هذا بقرينة الحال أن النبي من حيث له في الولاية هذا الاختصاص محال أن يتقدم على ما يَعلَمُ ان الله يكرهه منه ، أو يقدم على ما يعلم أن حصوله محال . فإذا اقترنت هذه الاحوال عند من اقترنت عنده وتقررت عنده ، أخرج هذا الخطاب الإلهى عنده في قوله « لأمحون اسمك من ديوان النبوة » مخرج الوعد = [وصار خبرا يدل على علو رتبة باقية ، وهي المرتبة الباقية على الأنبياء والرسل في الدار الآخرة التي ليست بمحلّ لِشَرْع يكون عليه أحد من خلق الله في جنة ولا نار بعد دخول الناس فيهما]=(١٧) وإنما قيدناه بالدخول في الدارين ــ الجنة والنار ــ = [لما شرع يوم القيمة

● الخلاف هنا في صحة العبارة الواردة في هذه الفقرة ، فلا يصح نسبتها بحال إلى الشيخ رضي الله عنه ، مع دقته في التعبير وانتقاء اللفظ كما يتضح من الشرح •

١٥ ــ راجع هامش ١٢ ص ٢١٨

١٦ ــ راجع هامش ١٣ ص ٢٢١

١٧ ــ راجع هامش ١٢ ص ٢١٨

لاصحاب الفترات والاطفال الصغار والمجانين ، فيحشر هؤلاء في صعيد واحد لإقامة العدل والمؤاخذة بالجريمة والثواب العملي في أصحاب الجنه . فإذا حُشِرُوا في صعيد واحد بمعزل عن الناس بعث فيهم نبي من افضلهم وتمثل لهم نار يأتى بها هذا النبى المبعوث في ذلك اليوم فيقول لهم انا رسول الحق إليكم ، فيقع عندهم التصديق به ويقع التكذيب عند بعضهم . ويقول لهم اقتحموا هذه النار بأنفسكم ، فمن أطاعنى نجا ودخل الجنة ، ومن عصانى وخالف أمري هلك وكان من أهل النار . فمن امتثل أمره منهم ورمى بنفسه فيها سعد ونال الثواب العملي ووجد تلك النار بردا وسلاما . ومن عصاه استحق العقوبة فدخل النار ونزل فيها بعمله المخالف لقوم العدل من الله في عباده (١٨) = وكذلك قوله تعالى « يوم يكشف عن ساق » أي أمر عظيم من أمور الآخرة ؛ « ويُدْعَوْن إلى السجود » وهذا تكليف وتشريع . فمنهم من يستطيع ومنهم من لا يستطيع ، وهم الذين قال الله فيهم « ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون » كما لم يستطع في الدنيا امتثال أمر الله بعضُ العباد كأبي جهل وغيره . فهذا قدر ما يبقى

---

١٨ ـ حديث الحميدي (●)

ما ورد في هذه الفقرة هو الحديث الذي أخرجه الحميدي ، في كتاب الموازنة ، ولم يثبت عند الشيخ ، لأنه يقول بخلاف ما جاء به ، فهو القائل في حكم أطفال الكفار : الذي أقول به إنه متى قدر المسلم على الصلاة على من مات من الأطفال الصغار الذين لم يحصل منهم التمييز ولا العقل أنه يصلى عليهم ، فإنهم على فطرة الإسلام ، فالطفل يصلى عليه إذا مات بكل وجه ، ولا معنى لترك الصلاة عليه ، فإن الذرية تابعة للآباء في الإيمان ولا يتبعونهم في الكفر إن كان الآباء كفارا .

أما في حق أهل الفترات فيقول : قبل التكليف لا يقيد الإنسان بل يجري بطبعه من غير مؤاخذة أصلا ، فوجد العذر لمن لم تبلغه الدعوة الإلهية ، وحكمه حكم من لم يبعث الله إليه رسولا ، وهو قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » وما كانت دعوة الرسل قبل رسول الله ﷺ عامة ، فيلزم أهل كل زمان الإيمان .

ف ح ١/٣٢٦ ، ٥١٩ ، ٥٣٦ ـ ح ٣/١٣٥ ـ ح ٤/١٦٢

من الشرع في الآخرة يوم القيامة قبل دخول الجنة والنار ؛ فلهذا قدمناه [= (١٩) والحمد لله .

---

١٩ ــ ما بقي من التكليف يوم القيامة (●)

يوم يكشف عن ساق الآخرة ، تقول العرب : كشفت الحرب عن ساقها ، وهي إذا حمي وطيسها ، واشتد الحرب وعظم الخطب ، وكشف الساق كما يؤذن بالشدة ، كذلك يؤذن بسرعة انقضاء المدة ، فسع كل زعزع رخاء ، وعند انتهاء الشدائد يكون الرخاء ، يقال كشفت الحرب عن ساقها ، وعقدت عليها إزرة طوقها ، فاشتد اللزام ، وكانت نزال لما عظم القيام ، وجاء ربك في ظلل من الغمام ، والملائكة للفصل والقضاء والنقض والإبرام ، وعظم الخطب واشتد الكرب ، وماج الجميع بحكم الصدع ، ففي الموقف ترفع الحجب بين الله وبين عباده ، وهو كشف الساق ، ويأمرهم داعي الحق عن أمر الله بالسجود ، فلا يبقى أحد سجد لله خالصا على أي دين كان إلا سجد السجود المعهود ، ومن سجد اتقاء ورياء جعل الله ظهره طبقة نحاس ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، فهذا قوله « فلا يستطيعون » فقوله تعالى « يدعون إلى السجود » هو دعاء تمييز لا دعاء تكليف ، فإن الآخرة ليست بمحل تكليف إلا في يوم القيامة في موطن التميز حين يدعون إلى السجود، إلا الحديث الذي أخرجه الحميدي في كتاب الموازنة ، ولم يثبت ، ولما اقترن به الأمر أشبه التكليف . فجوزوا بالسجود جزاء المكلفين ، فالتشريع لا يكون في الآخرة إلا في موطن واحد حين يدعون إلى السجود ، ليرجح بتلك السجدة ميزان أصحاب الأعراف،لأنها سجدة تكليف ، فيسعدون فينصرفون إلى الجنة بعد ما كان منزلهم في سور الأعراف ، ليس لهم ما يدخلهم النار ولا ما يدخلهم الجنة ، وإن شئت قلت سجود تمييز لا سجود ابتلاء ، فيتميز في دعاء الآخرة إلى السجود من سجد لله ممن سجد اتقاء ورياء ، وفي الدنيا لا يتميز لاختلاط الصور .

(●) ف ح ١/٣١٤ ، ٥٠٩ ، ٧٣٣ ، ٧٥١ ـ ح ٢/٢١١ ـ ح ٣/٤٣٩ ـ ح ٤/٣٦٧